

غير ان التعقيد ليس في المسألة بذاتها، بمقدار ما هو في التفكير الوطني الغالب، الذي يميل، غالباً، الى إيجاد حل تركيبي Synthesis للأطروحة Thesis، والاطروحة المضادة Antithesis ينعدم فيه أي أثر للأطروحة المضادة؛ وهذا مستحيل، سواء على صعيد الصراع الشمولي مع الامبريالية أو على صعيد التناقض العربي - العربي. الاطروحة المضادة موجودة، سواء كانت ممثلة بالامبريالية أو بـ «الاعتدال» المتعاون، قليلاً أو كثيراً، مع الامبريالية، وهي لا يمكن ان تنتفي، وانما يمكن، فقط، ان يكون الحل التركيبي لصالح التقدم.

ولكي يكون الحل التركيبي لصالح التقدم، يجب ان تكون القوى السياسية الوطنية هي الراجحة، لأن الحل التقدمي يتوقف، الى حد كبير، لا على وجود القوى الوطنية وحسب، وانما، أيضاً، على فعلها المستمر المجدي.

عندما تضعف القوى الوطنية، أو يضعف تأثير فعلها، إما بسبب لاموضوعيته، أو بسبب لغمه بالشوائب اللاوطنية، يتحول الحل التركيبي لصالح الأطروحة المضادة، أي باللغة المبسطة لصالح الامبريالية، أو لصالح المواقف الموالية لها؛ وهذا يفسر، دون الدخول في التفاصيل، ما جرى لحركة التحرر الوطني العربية، منذ الخمسينات حتى الوقت الحاضر.

دور القوى الوطنية العربية ؟

عندما يتحدث المرء عن القوى الوطنية، يجب ان يسأل، قبل كل شيء، إن كان ثمة قوى وطنية عربية حقيقية، مستعدة لخوض معركة التحرر الوطني العربية بشجاعة واخلاص كافرين، وبشعور بالمسؤولية على درجة عالية من الحرص على الامكانيات الوطنية. السؤال يتناول، حتماً، القيادات، لأن الشعوب تؤلف قوة وطنية، لا تنضب، ولكنها تحتاج، دوماً، الى التعبئة الثورية العالية المستوى كي تستطيع تحقيق الانجازات المرحلية، أو بعيدة المدى. وحينما يتناول السؤال القيادات الوطنية، لا ينطلق، حتماً، من احتمال انتفاء وجودها، لأنها موجودة واقعيًا، وتقوم بمختلف الفعاليات الايجابية على الصعيد الوطني. لكن وجود القيادات الوطنية لا يعني، بذاته، الفعل الوطني المسؤول، المبني على أسس علمية. مثل هذا الفعل يحتاج الى مقدار كبير من النضوج، وبكران الذات، والمثابرة، والاستعداد لأسوأ الظروف.

الكلام الأخير يتناول الجانب الأخلاقي لدى القيادة الوطنية، وهو هام دون شك، لأن العمل الوطني يحتاج الى طرف وطني يقوم به، ولكن تبقى أهميته غير حاسمة الى جانب الامور الموضوعية الأخرى.

مثلما الجانب الأخلاقي الوطني غير حاسم بالنسبة إلى مسار الأمور على الصعيد الواقعي، كذلك فان الجانب اللاوطني لدى ممثلي «الاعتدال» ليس حاسماً بالنسبة الى ذلك المسار.

في الأدبيات السياسية العربية ذات المنحى الوطني، يضع المحللون السياسيون اللوم على الأشخاص الذين ظهروا على المسرح السياسي العربي منذ بداية القرن، ويعتبرونهم المسؤولين عن مختلف الكوارث التي حلت بالبلدان العربية، والتي نجمت، حسب تلك الادبيات، عن خيانة فلان، أو فلان، أو تخاذله، الخ.